

ألف حكاية وحكاية (١١٠)

يولد وينمو ويموت

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشاروني



رسوم
نسيم

الناشر

مكتبة مصر

بمبادرة وزارة الثقافة

٢ شارع كامل صدقي، الفيحة

٥٩٠٨٩٤٠٥

يولد و ينمو ويموت

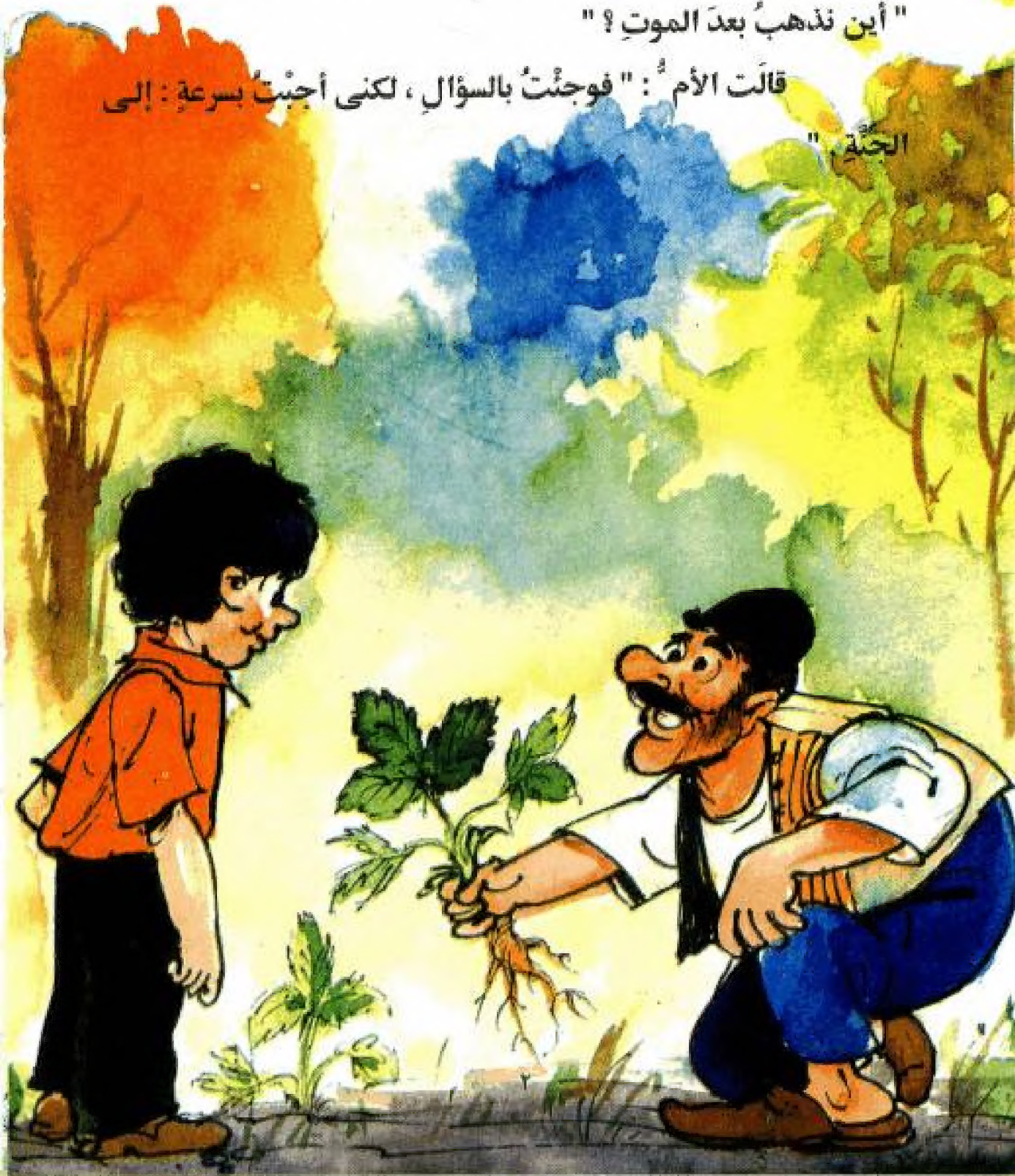
خلال إحدى محاضراتي الجامعية ، سألتني طالبة : ابني في

السادسة من عمره ، قال لي ذات يوم بعد عودته من المدرسة :

" أين نذهب بعد الموت ؟ "

قالت الأم : " فوجئت بالسؤال ، لكنني أجبت بسرعة : إلى

الجنة . "



فانقلبت ملامح وجه ابني ، يُريدني أن أفهم أنه لم يقتنع
بإجابتي. وبعد لحظة قال : " زميلي أشرف .. جدُّه مات .. ودفنوه
في الأرض .. في القبر! "

قالت الأم حائرة : " ولم أعرف بماذا أجيب !! "
قلتُ لها : كان لأستاذنا توفيق الحكيم ، ابنُ اسمه حسين ، وقد
مات الابن وهو في الثلاثين من عمره ، ونشر الأديب الكبير مقالاً
يقدّم فيه الصبر والعزاء لنفسه ، قال :

" البذرة لا تنمو إلا إذا دفنوها في الطين . كذلك الإنسان ..
طريقه إلى الحياة الأخرى ، أن يُدفن . القبر ليس نهاية .. إنه بداية .
وبغير مثل هذه البداية ، لن تكون الأزهار ولا الثمار ولا الأشجار .. ولا
الحياة الأخرى . "

وأضفت : وذات يوم ، شاركتُ أبنائي وهم صغار ، في زراعة
بعض الحبوب .. "دَفَنَّاها" في كمية من الطين ، داخل وعاءٍ وضعناه
في شرفة منزلنا .

وعندما شقت النباتات الخضراء المورقة المتفتحة ، طريقها
عن سؤالهم : " أين نذهب بعد الموت ؟ " ، لأنهم لمسوا مثلاً
محسوساً ، يُقرّب الإجابة إلى خبراتهم المحدودة ، وإلى أسلوب
تعرف الأطفال على العالم ، بالمحسوسات وليس بالمجردات .

هذا ما أفعله أنا أيضًا

في إطار استمرار أنشطة القراءة للجميع ، دعّني مدرسة للقاء مع أبناء وبنات القسم الابتدائي ، في المكتبة .

سأل أحدهم : " نعرف أنك تكتب في صحيفة " الأهرام " ومجلة " نصف الدنيا " ، وقرأنا لك عشرات الكتب للأطفال ، كما تقوم بتدريس أدب الأطفال في الجامعة ، ثم تلتقي بالأطفال والكبار في ندوات متعددة ، فكيف تستطيع التوفيق بين كل هذه الأنشطة ؟ " قلت : " هذا سؤال عليكم مساعدتي في الإجابة عنه ، فأنتم متفوقون في دراستكم ، وبعضكم يكتب الشعر أو القصة ، وشاهدتكم تمارسون مختلف الهوايات من موسيقى ورسم وتمثيل أو ألعاب رياضية ، فكيف تستطيعون التوفيق بين كل هذه الأنشطة ؟ "

أجاب تامر : " لا بد من تقسيم الوقت ، فلا يشغلنا نشاط واحد كل الوقت ، فمن الخطأ التركيز على اللعب وحده أو على مشاهدة التلفزيون فقط ، بل يجب أن نعطى وقتًا للمذاكرة ، ووقتًا للهوايات ، ووقتًا للتلفزيون . "

وقالت رشا : " بالإضافة إلى ما قاله تامر ، فلا بد أيضًا أن نضع

أولوياتٍ عند تقسيم الوقت . فخلال السنة الدراسية ، نبدأ بأداء الواجبات المدرسية ، وبعدها نتفرغُ للقراءة الخارجية ، ثم لبقية الهوايات . وإذا تبقى وقتٌ ، فلبرامج التليفزيون الجيدة . " قلتُ لهم : " لقد سمعتُ منكم أفضلَ إجابةٍ عن سؤالكم .. فلا بد من الاستفادة بكلِّ دقيقةٍ ، مع الحكمة في تحديد الأولويات ، وهذا ما أفعله أنا أيضًا . "



الحفيد يكتب القصص

في مكتبة الرعاية المتكاملة بالمعادي ، أثناء مهرجان القراءة للجميع ، جلستُ ساعتين مع الأطفال نتحاورُ ، أشجّعهم أن يُجيبوا بأنفسهم عن أسئلتهم ، وأن يُعبّروا بحرية عن وجهات نظرهم المختلفة، حول ما يطرأون من موضوعات .



سألوني : " متى بدأت الكتابة ؟ "

قلتُ : " لا أتذكرُ .. لقد بدأتُ كتابة القصص وأنا في الثالثة

الابتدائية ، وكان عمري ثمانى أو تسع سنوات . "

ثم أضفتُ : " وحفيدى الآن في الثانية الابتدائية ، عمره ثمانى

سنوات ، ويكتب القصص منذ كان في الأولى الابتدائية . "

سألوا : " من الذى شجّعهُ ؟ "

قلتُ لهم : " لقد فتح عينيّ على الدنيا ، وهو يسمّنى يومياً أقرأ

على أخته ووالديه ، قصصى التى أنشرها كل يوم تحت عنوان

" حكاية أعجبتنى " و " ألف حكاية وحكاية " ، ويسمع المناقشات

التي تدور بينى وبينهم أو مع أصدقائى ، حول كل قصة قبل نشرها ،

ويشترك مع أخته في مناقشاتنا . "

" عاش في بيت به مكتبة كبيرة ، وشاهد الكبار يقرءون ، ووجد

حوله كثيراً من الكتب المناسبة لمختلف مراحل عمره ، ووجد من

يشاركه الاهتمام بكل كتاب . "

عندئذ قال أصدقائى الصغار من رواد المكتبة : " لقد وجد

حفيدك : الكتاب المناسب ، والقراءة ، والمشاركة التى نحتاج إليها

جميعاً . "

لعبة الإبداع والابتكار

خلال شهور الصيف في أحد الأعوام ، التقينا بالقراء الصغار في لقاءات ملآنة بالحيوية والحوار ، في اثنتين وثلاثين مكتبة للأطفال ، تمتد من سوهاج بصعيد مصر إلى الإسكندرية .

وكان أحد الأسئلة التي سمعناها في معظم هذه اللقاءات، هو: "من أين تستمد أفكار قصصك التي تنشرها في باب " ألف حكاية وحكاية " ، أو في مجلة " نصف الدنيا " تحت عنوان " حكاية أعجبتني ؟"

كنت أجيب : إن مصادر أدب الأطفال هي التأليف ، والقصص الشعبي ، والأدب العربي القديم ، والتراث العالمي . وأكثر من نصف القصص التي ننشرها ، مؤلفة . أما بقية القصص ، فنختارها من المصادر الأخرى ، ونعيد صياغتها بشكل كامل في معظم



الأحيان، وذلك سواء القصص التي نشرها في الأهرام اليومي، أو التي كنا نشرها في أهرام الجمعة في الثمانينيات تحت عنوان "قصة".

ولهذا فإن العقد المُحرَّر بيننا وبين صحيفة الأهرام، منذ عام ١٩٨٢، ينصُّ على أن تكون موادُّ هذا الباب، هي من تأليفنا أو إعدادنا أو ترجمتنا.

ولهذا أيضاً، حرصنا دائماً على أن نقدِّم هذه الحكايات تحت عنوان "إعداد أو تقديم"، مع أن عدداً كبيراً منها من تأليفنا. وبعد هذه الإجابة، كنا ندعو الأطفال إلى إعادة صياغة هذه الحكايات، مع وضع حوار مُبتكر لبعض مواقفها، مع تمثيل هذه المواقف أو رسمها.

وكم من مواهب مُتألِّقة اكتشفناها بين أطفالنا، ونحن نلعب معهم هذه اللعبة، التي كان الصغار يُسمُّونها "لعبة الإبداع والابتكار".



الفارس الذى لا يزال يعيش بيننا

أسماء عمرها ثلاثة عشرة سنة ، وجدتها قد استغرقتُ تقرأ
بعض أعدادٍ من صحيفة الأهرام . وعندما تطلَّعتُ لأرى ماذا تقرأ ،
رأيتُ عبارة " معارك آخر العمر " ، وهى عنوانُ آخر سلسلة مقالاتٍ



كتبها فارسُ مصرَ الذي رحلَ ، الأستاذُ سعد الدين وهبة .

و بغير أن أسألها ، رفعت رأسها لتقول في انبهار :

" هذه المقالاتُ تؤكدُ أنه انتصرَ فعلاً في معركته مع المرضِ
و الموتِ . لقد نجحَ في ترويضِ الداءِ القاتلِ ، فوقفَ ذلكَ الوحشُ
أمامه ، لا يستطيعُ أن يمسَّ قدراته على الكتابةِ و الإبداعِ ، و على
الاهتمام بمشروعاته الكبيرة ، مثل مهرجان القاهرة السينمائي
الدولي ، ليقولَ لنا في قوة و حزمٍ ، مع أنه كان يعرفُ تماماً خطورة
مرضه :

" الشرُّ لا يُقاومُ إلا بالعناد و الإصرار ، و أنا أنتظرُ الصحةَ و الحياةَ ،
لأعودَ من جديدٍ إلى القاهرةَ ، إلى مكاني في صفوفِ المناضلين ،
من أجلِ عزةِ مصرَ و عزةِ العربِ ، و كرامتها و كرامةِ العربِ . "
و أضافتِ الصغيرةُ في حماسٍ ، يؤكدُ إيمانها بقيمةِ الإنسانِ
و الحياةِ :

" إن مقالاته الأخيرة ، تؤكدُ أن الإنسانَ لا يموتُ إذا ماتَ
الجسدُ .. الإنسانُ يموتُ إذا ضَعُفتِ الإرادةُ ، أو تخاذلتِ الروحُ ، أو
فَقَدَ الإنسانُ الرغبةَ في التحديِّ و المقاومةِ . "
" الإنسانُ ينتصرُ حتى على الموتِ ، طالما ظَلَّتْ روحُهُ إلى
اللحظةِ الأخيرةِ ، يملؤها الإصرارُ على المقاومةِ ، و الحماسُ للعملِ ،
و الحرصُ على أداءِ الرسالةِ حتى النَّفسِ الأخيرِ . "

غرامة في قطار الصعيد

في القطار الذاهب من المنيا إلى سوهاج بصعيد مصر، كنتُ مُنهمكًا في القراءة . وفجأة سمعتُ أحد الركاب يصيحُ : " الفلوس لا تُهمُّني !! "

والتفتُ ، فوجدتُ رئيسَ القطار ، بملابسه الرسمية ، قد أخرجَ دفترَ الغرامات وهو يقولُ : " غرامة ١٣ جنيهًا ، لأن التدخينَ ممنوعٌ !! "

صاح الراكبُ : " كلُّ الناسِ تدخنُ !! "

قال رئيسُ القطار في إصرار : " أنت تقتلُ غيرَكَ .. السجائرُ كلها أضرارُ قاتلةٌ .. ادفعِ الغرامة ! "

عاد الراكبُ يصيحُ : " لم أكنُ أعرفُ أن التدخينَ ممنوعٌ !! "

هنا أشار رئيسُ القطار إلى لافتةٍ مكتوبةٍ على باب عربةِ القطار ، وقالَ : " التحذيرُ مكتوبٌ بوضوح . وحتى بغيرِ تحذيرٍ ، هذه عربةٌ مكيفةُ الهواءِ .. عربةٌ مغلقةٌ .. دخانُ سيجارتِكَ لا بد أن يذهبَ كُلُّهُ إلى المسافرين الآخرين ، فيؤذي رئةً كلَّ منهم أشدَّ الأذى ، بغيرِ ذنبٍ ارتكبه .. أنت حرٌّ في نفسك ، لكنك لستَ حرًّا في حياةِ الآخرين . "

وأصرَّ رئيسُ قطار الصعيد على تحصيلِ الغرامة ، لكنه كان أكثرَ حرصًا على أن يسمعَ كلُّ ركابِ العربةِ حوارَهُ مع الراكبِ ، الذي لا

يُريدُ أن يعترفَ بالجريمة التي يرتكبها ، عندما يُعرَّضُ الآخرون لأخطار
الأمراض ، وأشدّها فتكاً بحياة الإنسان .

وعندما تجاذبتُ الحديثَ مع رئيسِ القطار ، قال لي :
"يُهمُّني أن تعرفَ أننا لا نأخذُ أيةَ حوافِزَ عن تحصيلِ غراماتِ
التدخين ، لكن إيماني بالضررِ الجسيمِ للتدخين ، هو أقوى حافِزٍ لي
لتحصيلِ هذه الغرامات . "





"ديانا" وصوت الموسيقى

كل صباح ، كان الأب يفرضُ على أبنائه أن يقفوا أمامه صفًا واحدًا ، كأنهم في طابور عسكري ، وهم يرتدون كامل ملابسهم الرسمية ، ليقدموا له التحية .. لا يتحدثون إلا بإذن منه ، وهو يحسبُ عليهم كل حركة وكل كلمة .

ثم جاءت المربية الجديدة ، فصنعت لهم من قماش الستائر ، الذي يشبه قماش "الجينز" ، ملابس رياضية ، تساعدهم على الجري والقفز ، بعد أن انطلقوا إلى أحضان الطبيعة ، يتأملونها ويتعلمون منها .

كان هذا هو الموضوع الحقيقي لقصة فيلم "صوت الموسيقى" ، الذي أحبه الملايين ممن شاهدوه .. إنه موضوع الصراع بين التربية التقليدية ، التي تتطلب الطاعة والخضوع للتقاليد ، وعدم الخروج عن القوالب المحددة .. والتربية السليمة ، التي تهدف إلى تنمية طاقات الخلق والإبداع والابتكار لدى الأطفال .

وكانت هذه هي نفس المشكلة ، التي ثار الخلاف بشأنها بين "ديانا" وزوجها الأمير "تشارلز" ولي عهد إنجلترا ، حول أسلوب تربية أبنيهما .

وكان تصفيق الجماهير حول جثمان ديانا ، هو التأييد الشعبي الجارف لأسلوب ديانا ، الذي أكدّه البرلمان الإنجليزي ، عندما قرّر أنه لا يكفي تربية الابنين كأميرين ، بل يجب تربيتهما كمواطنين ، يرتبطان بالمجتمع وأبناء الشعب .

فى مواجهة الظلم !!

لى صديق شق طريقه فى الحياة بمواهبه وذائه وعمله
الدائب ، لذلك كانت تواجهه ، كلما حقق نجاحا كبيرا ، الأحقاد
والأكاذيب والهجوم الظالم .

ومع ذلك كنت أراه يتسم دائما ، ولا يكف عن العمل أبدا .
فسألته ذات مرة : " ألا يعطلك هذا الهجوم عليك ، والكيد لك ، عن
عملك وإنتاجك ؟! "

ضحك وقال : " ثقتى بالله كبيرة ، والله لا يتخلى عن
المظلومين . وها هى زوجتى بجوارى ، أسألها .. ما من مرة تعرضت
فيها لحملة من حملات الهجوم الظالم ، إلا وانفتحت أمامى ، من
ناحية أخرى ، طاقة من الخير ، تقدم لى فرصا أوسع للنجاح والتقدم
أديبا وماديا "

" فمرحبا بالظلم ، لأنه أصبح ، بالنسبة لى ، بشيرا بمزيد من

التقدم والنجاح !! "

